الزراعة في مصر القديمة

أبان عصور ما قبل التاريخ

ا.م.د. فاضل كاظم
حسين كامل عيدان
كلية التربية / جامعة واسط

الزراعة في مصر القديمة أبان عصور ما قبل التاريخ

ا.م.د. فاضل كاظم

حسين كامل عيدان

الملخص باللغة العربية .

اتصفت مصر القديمة بتوفر العناصر المناخية المتلائمة التي تشجع على الزراعة كالحرارة المعتدلة والأمطار ووجود مصدر المياه الثابت المتمثل بهر النيل الذي يعد السمة التي تميز الأرض المصرية ، وانتظام فيضانه في كل عام ، والميزة المضافة التي يقدمها نهر النيل لمصر هو ما يحمله معه من عوالق وطمى تزيد من خصوبة الأرض وتحافظ عليها ، هذه العوامل جعلت الأرض المصرية مهيأ للزراعة ، والذي يؤكد معرفة المصريين القدماء للزراعة ، ما تم العثور عليه من بذور الحبوب المتفحمة المخزونة بالمتحف الزراعي المصري ، وهي من نفس صنف الحبوب التي انتشر معرفتها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم وغرب آسيا.

Abstract.

Ancient Egypt characterized by the availability of climatic elements that encourage agriculture such as moderate heat, rain and the presence of the fixed water source represented by Nile Nile, which is characteristic of the Egyptian land, And the regularity of its flood every year, and the added advantage provided by the Nile to Egypt is what he carries with him plankton and silt increase the fertility of the earth and preserve it, These factors made the Egyptian land ripe for agriculture, which confirms the knowledge of the ancient Egyptians of agriculture, what was found from the seeds of charred grain stored in the Egyptian Agricultural Museum, It is the same type of grain that has spread its knowledge in many areas of the ancient Near East and West Asia.

المقدمـة

إن التجانس الطبيعي في عوامل البيئة المصرية القديمة متمثلة بالعوامل المناخية من شمس وأمطار ورطوبة وحرارة كافية ، وتكوين الأرض التي ساعدت بشكل كبير على توفير مكان ملائم لنمو النباتات فقد أطلق عليها " **إستى** " أي ارض المنتجات الزراعية ، وكذلك " **باتا إن كمت** " أي " ارض السواد "

نسبة إلى لون التربة ، نظرا لخصوبتها ، كما وصفت أيضا بـ" **باكت** " أي الأرض الساطعة نظرا لسطوع الشمس وأشعتها على الأرض المصرية (١)، والعامل المهم الأخر الواجب توفر من اجل قيام الزراعة المتمثل بتوفير المياه من نهر النيل وفيضانه الذي حافظ على خصائص التربة لما يحمله معه كل سنة من عوالق وطمى وطين تجدد من خصوبتها ، كما يعد الفيضان بمثابة غسل للتربة من الأملاح التي تتشكل بها(٢)، وبهذا فقد توفر العوامل الطبيعية التي تحتاجها النباتات من اجل النمو .

لذا فإننا لا نستطيع القول من إن عوامل البيئة بمفردها تعد سبباً رئيسا لنشوء الزراعة ، وربما يكون هو شرطاً لازماً ولكنه غير كاف ، إذ لا بد من توفر عنصر مهم آخر يتحكم باستغلال الأرض وترويض فيضان النهر ، وهو الإنسان(٣)، وبهذا فقد كانت مصر منذ أقدم العصور تملك العناصر الضرورية الواجب توفرها من اجل قيام الزراعة (٤).

إن التغيرات التي حصلت في المناخ كانت نتيجة لارتفاع درجات الحرارة وذوبات كتل الجليد ، وقد مهدت للانقلاب الزراعي وشمل مناطق واسعة من العراق وفلسطين وسوريا ومصر (٥)، حدثت هذه التغيرات أبان العصر الحجري الحديث الذي أطلق عليه بعصر الإنتاج الزراعي أو عصر إنتاج القوت ، وهو أعقب المرحلة التي عاشها الإنسان معتمدا في حياته على جمع القوت (٦)، كما أطلق على هذا العصر أيضا " **بالثورة الإنتاجية الأولى** " إذ تمكن الإنسان في هذه المرحلة من أن يكون منتجا لقوته بعد أن كان مستهلكا فقط ، كما تغيرت طريقة حياته من الانتقال والسعي وراء الصيد وجمع القوت إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بالزراعة والتجمع في قرى زراعية(٧).

يتضح لنا إن التغيرات المناخية التي حدثت في الشرق الأدنى القديم بعد انحسار الجليد وذوبانه وعلى أثره عم الدفء وقلة سقوط الأمطار وبالتالي أدى إلى قلة النبات الطبيعي ، وهو العامل الأبرز الذي دفع الإنسان للزراعة ، لكن الرأي الراجح إن الإنسان كان قد عرف الزراعة قبل هذه الفترة إذ ترجع معرفته إلى حوالي (١٠٠٠٠) قبل الميلاد في مناطق الشرق الأدنى القديم وغرب آسيا (٨) .

الزراعة في عصور ماقبل التاريخ .

إن ممارسة الإنسان للزراعة لم تأتي فجيء بل كانت قد مرت بمرحلة تطور بطيء ، فبعد أن يخزن الإنسان البذور البرية التي جمعها ، لاحظ بعد فترة أنها بدأت تنمو لتصبح نباتات ، ولم يكن الإنسان في هذه المرحلة يتعب كثيرا ، بل كانت مياه فيضان النيل جديرة بان تسقي الأرض وتجعلها رطبة مهيأ للزراعة ،وبهذا تعلم الإنسان في مصر القديمة الزراعة(٩).

الذي رجح هذا الرأي وجعله اقرب إلى التأكيد ، كما إننا نميل مع ما جاء فيه وهو ما تم العثور عليه من أدوات كان لها علاقة مهمة في عملية الزراعة ألا وهي الفأس البدائي الذي صنع من حجر الصوان على شكل كلوي منحي من احد طرفيه وتكون مسننة عادة ويتصل بها مقبض خشبي ، إذ حلت هذه الفأس محل اليد في عملية حفر الأرض ، والأداة الثانية التي لها علاقة وثيقة بالزراعة وهي الطاحونة (رحى) اليدوية المصنوعة من الحجر(ينظر شكل رقم ١) إذ يعتمد على دورانها في طحن البذور ، وعند حلول ألاف الرابع قبل الميلاد كانت الزراعة قد انتشرت بشكل كبير في الشرق الأدنى القديم ، في مصر وفلسطين وسوريا والعراق وإيران(١٠)، ووجود هاتين الأداتين نفهم منها إن الإنسان مارس العمل الزراعي سواء معرفة الزراعة أو زراعة الأرض على حدا سواء .

أما الرأي الأخر الذي جعل الزراعة قد دخلت إلى مصر القديمة من غرب آسيا في مرحلة من مراحل العصر الحجري الحديث ، أي أنها ليست محلي بل تقنية مستوردة ، وهذا رأي دحضه ما عثر عليه من تنقيبات تعود إلى سبعينيات القرن الماضي ، فقد عثر على بقايا حضارة زراعية في سيوه (١١)، وبعد فحصها بالكاربون -١٤ المشع تبين أنها تعود لفترة أقدم من هذه المرحلة (١٢) ، ويبدو إن هذه الزراعة كانت في شكلها الأول زراعة هشة وضعيفة لدرجة كبيرة على الرغم من أنها انتشرت على ضفاف نهر النيل ، ويعتقد أنها سبقت بعض مناطق الشرق الأدنى في هذا المجال ، بيد إننا لايكمننا الاستناد على هذه الآراء في الجزم بالأصل المصري للزراعة ، أو حتى لنقض هذه الرأي الذي يشير إلى إن مناطق الشرق الأدنى لم تعرف الزراعة في العصر الحجري القديم (١٣).

إن التحريات والتنقيبات الأثرية التي أجرت في مناطق شمال بلاد الرافدين في مطلع الألف الثامن قبل الميلاد ، تمخضت عن وجود نوع من أنواع الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) المهجن تم العثور عليه في موقع جرمو(١٤) تحمل سنابله أربعة صفوف من الحبوب والذي وجدت منه بذور متفحمة في هذا الموقع(١٥) ، هذا النوع من القمح المهجن الذي وجد في بلاد الرافدين عثر عليه أيضا في بلاد النيل في مواقع متعددة تعود إلى العصر الحجري الحديث ، كما تم العثور على آلة الـ (رحى)التي استعملت في طحن الحبوب(١٦).

إن العثور على هذا النوع من القمح من نفس الفصيلة بإمكان متفرقة من مناطق الشرق الأدنى القديم يدل على معرفة الإنسان له ولربما كان هو النوع الأول الذي تم تدجينه وزراعته في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، فلسطين ومصر ، وان دل هذا إنما يدل على تعاصر معرفة الزراعة في هذه المناطق أبان العصر الحجري الحديث كما أثبتت ذلك التحريات والتنقيبات الاثارية .

وقد أثبتت التحريات والتنقيبات الأثرية وجود زراعة تم الكشف عنها ومعرفتها من خلال ما تم العثور عليه من بذور متفحمة للحبوب التي قام بزراعتها الإنسان المصر القديم ، وتختلف مناطق مصر العليا التي هي عبارة عن شريط ضيق من الأراضي الزراعية التي تحيط بجانبي النهر تحفها هضبتان صخريتان من الشرق والغرب ، أما راضي الدلتا فهي أراضي زراعية واسعة وكبيرة تتخللها بعض المستنقعات والبحيرات ، الشيء الذي يميز هذه الأراضي بعدها عن المناطق الصحراوية ، والسمة الأخرى التي ميزتها قربها من غرب آسيا حيث مواطن الحضارات في الشرق الأدنى القديم (١٧) ، ويمكننا تتبع المواقع الأثرية للعصر الحجري الحديث التي تم العثور بها على بعض الحبوب المتفحمة :

- **موقع مرمدة بني سلامة .**

وهي أقدم قرية زراعية قديمة في الدلتا تعود للعصر الحجري الحديث، تبعد عن القاهرة ما يقارب من ٥٠ كم من الناحية الشرقية الغربية ، يرجع الاستيطان بها الى حوالي ٤٤٠٠ق.م ،لا يزيد حجمها عن (٦٠٠ * ٤٠٠ متر) وقد نقبت به البعثات النمساوية منذ عام ١٩٢٨ ، وكانت المقابر توضع داخل السكن ، وتعد القبور التي عثر عليها في مرمدة بني سلامة أقدم مقابر تعود إلى الفترة ، الملفت للنظر في هذه المقابر الذي يوحي إلينا إن سكان هذه القرية عرفوا الزراعة ، كانت توضع بالقرب من المتوفى بعض الحبوب (١٨)، كما إنهم قاموا بإنشاء مخازن للحبوب المصنوعة من السلاسل والجرار الفخارية ، ويبدو أن هذه القرية كان عدد سكانها قليل ، بيد أنها كانت تعتمد في اقتصادها الغذائي على الزراعة ، وهذا ما أكدته ما عثر عليه من حبوب المتفحمة(١٩)، كما تم العثور على أغصان من الأشجار صنعت على شكل مناجل إذ ثبت بالأغصان أسنان من حجر الصوان ، كما أنهم لبسوا الكتان بعد غزله ، وألفوا مجتمع صغير كانوا به متعاونين فيما بينهم ، أما الحبوب المتفحمة التي تم العثور عليها فهي من نفس نوع حبوب الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) الذي وجد في مناطق متعددة من مناطق الشرق الأدنى القديم ، ولربما كان وضع الحنطة مع المتوفى يعد تجسيد لأسطورة الإله " اوزريس " ، إذ تشير الأسطورة إلى :

" إن الإله أوزير وجد الشعير ناميا بين النباتات البرية بطريق الصدفة فدرس طبائعه ، ثم صنعت له أخته وزوجه ايزيس منه الخبر ، لذلك تعتبر سنابل القمح والشعير من الأشياء المقدسة التي يرمز بها لهذه الآلهة "(٢٠).

والذي يؤكد إن سكان هذه القرية كانوا قد مارسوا الزراعة ليس فقط العثور على حبوب الحنطة والمخازن التي تخزن بها الحبوب ، بل تم العثور أيضا على مراحي كان قد تم طحن الحبوب بها ، إضافة إلى استعمالهم للنار في طهي الطعام والمرجح أيضا استعمالها في الخبز(٢١) .

- **موقع دير تاسا (طاسا) .**

تعد قرية دير تاسا (طاسا) أقدم قرية زراعية تعود للعصر الحجري الحديث في الجنوب (الصعيد) ترجع إلى ما يقارب من ٤٨٠٠ق.م(٢٢) ، تقع في شمال محافظة أسيوط بدا التنقيب بها منذ عام ١٩٢٧ وتم الكشف بها عن العديد من القبور ، كما تم العثور بها على الفؤوس التي صنعت من الحجر الجيري وبعض الحبوب ، ويبدو أنهم أيضا نسجوا الكتان ، ومارسوا الزراعة ، كما تم العثور على رحى استعملت في طحن الحبوب وتحويلها إلى طحين (٢٣)، وهذا يؤكد بشكل تام ممارسة الزراعة من قبل سكان هذا الموقع وتأكده المخلفات الحضارية التي تم العثور عليها من رحى وفؤوس وحبوب متفحمة ، كما تعرفت البعثات الاثارية أثناء التنقيب على نوع من المساكن التي استعمل في بناءها البوص(٢٤) وقد كان يستعملها الفلاحون للاستراحة والمبيت أثناء الحصاد في أوقات الصيف (٢٥) ، يستوضح لنا إن سكان هذه القرية مارسوا الزراعة حتى وان كانت محدودة كما أشار إلى ذلك احد الباحثين (٢٦) ، ليس هذا فحسب بل أنهم استفادوا أيضا من بعض النباتات في صناعاتهم مثل الكتان الذي صنعوا منه النسيج ، يلبسونه بعد غزله (٢٧) ، والبوص الذي استفادوا منه في صناعة بعض السلال التي كان يخزن بها ناتج الزراعة ، ومن خلال صناعتهم للأكواخ التي كانت معدة للاستراحة في أوقات الحصاد يبدو أنهم مارسوا الزراعة بشكل واسع ، وهذا يدل بشكل آخر أنهم بدأ عندهم حس التنظيم الاجتماعي والسياسي يظهر ولو بشكل بسيط .

كما إن سكان هذه القرية بدأت عندهم سمات الفكر الديني ، وهذا واضح من خلال ما كشف عنه في مقابرهم إذ نثرت بعض الحبوب في قبر المتوفى ، كما جعل كان وضع المتوفى يوضع على الجهة اليمنى وتكون ساقيه مثنية إلى الصدر والوجه متجها نحو المساكن ، ووضعت مع المتوفى في القبور بعض الأثاث ، مما يدفع إلى الاعتقاد إنهم امنوا بوجود حياة ثانية (٢٨)، وهذه المقابر كانت بعيدة عن المساكن يتجه وجهة المتوفى نحو الغرب(٢٩)، لأنهوا لاحظوا غروب الشمس فاتجهت أنظار الميت نحو الغرب لاعتقادهم إنها ستشرق في الحياة الأخرى .

لابد من الإشارة إلى التماثيل التي وجدت في قبور هذه المواقع التي عرفت بـ(الآلهة الأم) وتدل هذه التماثيل على الخصب الذي ارتبط بالزراعة (٣٠).

موقع البداري .

تعد حضارة البداري أو حضارة استخدم بها الإنسان المعادن (النحاس) ، تقع في منطقة قاو في محافظة أسيوط ، وقد قدر زمنها إلى حوالي٤٥٠٠ ق.م حسب الفحص بالكاربون –١٤، وهي قرية حضارية متقدمة نظرا لوجود العديد من الأكواخ التي بنيت باستعمال أغضان الأشجار والأخشاب ، كما اتبعت نفس الطريقة في دفن الموتى التي عرفت في المواقع المشار إليها سابقا ، وقد غطي جسد المتوفى بالجلد قبل لفه بالقماش الذي كان يصنع من الكتان(٣١) ، وقد نقبت بها البعثات البريطانية لمدة طويلة أثبتت إنها تعاصر بعض مناطق الحضارة في الشرق الأدنى القديم (٣٢).

امتاز فخار البداري بالتطور الكبير من حيث مادة الفخار، ولون بألوان متعددة من ضمنها الألوان التي اشتقت من المعادن والمينا (٣٣)، الشيء الذي أثار الباحثين في هذه القرية إنهم أعطوا تقديس لبعض الحيوانات وهي من المعتقدات التي أصبحت ملازمة للدين المصري أبان المراحل التاريخية المختلفة (٣٤) ، نظرا لما امتاز به البداريون فقد عدت من القرى المنظمة المتميزة التي اعتمدت على الزراعة واستأنست بعض الحيوانات ، واستعملوا التشطية في صناعة آلاتهم وأسلحتهم ، وتأتي في مقدمة الآلات الزراعية التي امتاز بصناعتها البداريون الفأس التي دخل النحاس في صناعتها(٣٥) التي تعد من الصناعات المتقدمة والتي ساهمت بشكل كبير في تطور عملية الزراعة .

زرع البداريون الحنطة التي انتشر زراعتها في مناطق عدة من مصر والشرق الأدنى القديم وغرب آسيا، إذ عثر المنقبون الذي نقبوا في مواقع متعددة في أسيوط ضمن موقع البداري على نوع (Emmer) الذي أشير إليه سابقا(ينظر شكل رقم ٢) (٣٦)، وهذا يدل على تعاصر هذه القرى الزراعية لأنها كلها عرفت نفس النوع من الحنطة ، وان كان هذا النوع أصله بريا ، أي انه كان قد نما طبيعيا في المرحلة الأولى .

لقد عد سكان هذه القرية من سمات ميزتهم منها الزراعة وتدجين الحيوانات ، لربما هاجروا من مكان آخر من الجنوب أو الشرق ، وافترض أنهم من نسل سكان قرية سابقة وهي دير تاسا ، المار الحديث عنه ، لأنهم امتهنوا الزراعة بصورة منتظمة ، كما عثر على بعض الأدوات الحجرية من حجر الشست ، وعن مقارنتها وجدت أنها مشابه مع الأدوات التي صنعت في بلاد الرافدين(٣٧) .

موقع الفيوم .

تعد منطقة الفيوم من المناطق المهمة التي تعود إلى العصر الحجري الحديث ، ويمكن اعتبار منخفض الفيوم الذي يبعد حوالي ٩٠كم إلى جنوب القاهرة ، وتكمن أهمية هذا الموقع نظرا لاتصاله بنهر النيل المحدود إذ عد في بعض الأحيان منخفضا منفصلا لحد ذاته(٣٨).

يستدل من الآثار التي عثر عليها في هذا الموقع انه مرت بمرحلتين الفيوم أ والفيوم ب كما أطلق عليها العلماء ، وان سكان هذا الموقع كانوا قد عرفوا الزراعة بيد أنهم اعتمدوا على الصيد أكثر من الزراعة ، وبالرغم من ذلك فان الآثار التي التي عثر عليها من مناجل من الصوان ورحى لطحن الحبوب (٣٩) ، وهذا يعني أنهم كانوا مجتمع زراعي مارسوا الزراعة كما تدل على ذلك المناجل التي تستخدم للحصاد ، إضافة إلى العثور على رحى لطحن الحبوب .

كما تم العثور على بقايا من الحنطة والشعير المتفحمة ، إضافة إلى مخازن مصنوعة من سلال القش يخزن بها الفائض من الإنتاج الزراعي(٤٠)، وقد أرجعت البعثات التنقيبية التي أجريت في هذه المنطقة إنها تعود إلى حوالي٥٠٠٠ ق. م، وان التطور في هذه المنطقة يتعاصر مع المناطق الأخرى في شمال أفريقيا ، ولربما كان لهم صلات مع غرب آسيا ، كما عرف سكان هذه التجمعات السكانية ، النسيج الذي استعمل فيه الكتان الذي تم العثور عليه من قبل البعثات التنقيبية ، وخصوصا انه استعمل في لف جثث الموتى للمحافظة على أجسادهم(٤١).

لقد أثبتت التحريات التي قامت بها البعثات التنقيبية كما مر سابقا والتي دلت أن مناطق متعددة من مصر شهدت قيام الزراعة ، بالإضافة إلى الصناعات البسيطة المتمثلة بالنسيخ والفخار .

كما وجد في مواقع أخرى أثناء التنقيب بها أنها عرفت الزراعة وخصوصا الحنطة والشعير في موقع حلوان ، والمعادي التي تقع في موقع مهم لربما كان لها اتصالات من الحضارة الأخرى في الشرق الأدنى القديم إذ أنها تقع بالوسط من الصعيد ، ولها مناطق تربطها مع غرب آسيا وشبه جزيرة سيناء وعلى الراجح أنها ترجع إلى عهد ما قبل الأسرات(٤٢) ، وهما حضارتنا متداخلتان بحيث تمثل الأخيرة امتداد إلى الأولى ، وقد أطلق عليهما مصطلح نقادة الثانية ، ويقدر أنها ترجع إلى (٣٠٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م) ، وقد عمل سكان هذه المواقع على تجفيف المستنقعات المائية والاستفادة منها في الزراعة ، كما يبدو إن عدد سكان هذه القرى زاد ، كما عثر على مخازن متعددة كان قد حفظ بها المتبقي من الإنتاج الزراعي(٤٣).

ومن هذا يظهر لنا إن سكان مصر القديمة ، قد عرفوا الزراعة على الرغم من كونها بسيطة إذ اعتمد بشكل كبير فيها على فيضان نهر النيل في ري الأرض ، وقد أثبتت الأدلة الاثارية وجود حبوب الحنطة والشعير التي كانت قد انتشر زراعتها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، وغرب آسيا ، وبلاد الأنضول ، وبلاد عيلام .

ويمكننا الاستلال من خلال بقايا القمح التي عثر عليها ومخزونة الآن في المتحف الزراعة في القاهرة في القاعة رقم (٣) خزانة رقم (١٣) التي تحتوي على كميات من القمح المتفحم من نوع

Triticum Decoccum التي يتصف بأنه ثنائي الصفوف ويمتاز بكبر الحبة وقد عثر عليه في مخازن الحبوب في مرمدة بني سلامة المار الحديث عنها ، وفي حلوان ، كما تحتوي خزانة رقم (١٤) في المتحف على بقايا من الشعير المتفحم ، وفي خزانة رقم (١٥) ، كما وجد الخبز بعضه على الشكل البيضوي والآخر رقيق في سمكه ، ويبدو إن الغلال كانت تنظف وتنخل وبعدها يتم عجنها ثم تترك إلى أن تتخمر وبعدها يتم تشكيلها (٤٤)، ويجدر الإشارة هنا إن هذا النوع (Triticum Decoccum) من الحبوب عثر عليه أيضا ضمن عصر نقادة ، ويطلق عليه " بدت " (٤٥)، وقد أكدت الدراسات الحديثة إن هذا النوع من الحبوب عرف بمناطق الشرق الأدنى القديم منذ ما يقارب ١٥٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠سنة قبل الميلاد وهو من النباتات البرية الذي انتشر بصورة واسعة في مناطق الشرق الأدنى القديم وشمال أفريقيا ، وتم زراعته لغرض الاستفادة منه لأغراض الغذاء(٤٦) .

يتضح لنا من خلال ما تم بيانه من المعلومات ، إن مناطق متعددة من مصر القديمة تم العثور بها على القمح والشعير ، وهو من نفس الأصناف التي انتشرت زراعتها في الشرق الأدنى القديم ، وهنا ينبغي القول انه على الرغم من هذه الحبوب المتفحمة التي وجدت في مخازن متعددة من موقع العصر الحجري الحديث ، إلا إن هذا لايعني إطلاقا إن مصر كانت سباقة في ممارسة الزراعة ، بل يعني أنها عرفت الزراعة كباقي مناطق الشرق الأدنى القديم كما بينت لنا التنقيبات الاثارية في مناطق الحضارة في العراق وغرب آسيا وبلاد الأنضول ومصر وشمال أفريقيا .

وقد رافق معرفة الزراعة في مصر تطور الفكر الديني ، وخصوصا المعتقدات الدينية المتعلقة بالخصب ، التي أطلق عليها الآلهة الأم وقد عثر عليها في مواقع متعددة منها مرمدة بيني سلامة والبداري و ونقادة الثانية (٤٧)، إن العثور على هذه الآلهة في هذه المواقع يعد تأكيد لرأينا إن هذه المواقع عرفت ممارسة الزراعة .

إننا عندما نميل إلى معرفة سكان مصر القدماء للزراعة في هذه المرحلة ، بدون شك أنها كانت زراعة غاية في البساطة ، تعتمد بشكل كبير على فيضان نهر النيل ، فبعد انحسار مياه الفيضان يستثمر المرزارعين الأوائل رطوبة الأرض فيقومون بشق أخاديد فيها من اجل وضع البذور ، ونتيجة لرطوبة الأرض وارتفاع حرارة المناخ تتوفر البيئة المناسبة لنمو البذور، وبعد فترة النمو يقوم الفلاحون بحصد المحصول ووضع ما زاد منه في مخازن أعدت له الغرض(٤٨) .

إن ممارسة الإنسان للزراعة تتطلب جهود مشتركة لإتمام عملياتها المختلفة ، وهذا يعطينا صورة عن التطور الذي حصل في حياة الإنسان المتمثلة بقيام المجتمعات التي تعتمد على الزراعة ، ويكون فيهل الفرد يملك الأرض وبعض أدوات الإنتاج ، أي ظهور الملكية الفردية(٤٩) ، وهكذا تطورت هذه

التجمعات الزراعية نتيجة لارتباط الفرد بالأرض والميل نحو التجمع والاستقرار من اجل الاستفادة القصوى من الأرض وإنتاجها ، وبهذا ظهرت المجتمعات الأولى التي كونت الأقاليم المصرية قبل أن تتوحد(٥٠) .

وبهذا فقد تكامل المجتمع المصري القديم وتمتع بكافة عوامل قيام المجتمع الأولى ، وكان الأساس الذي دفع لقيامه هو الزراعة .

الخاتمــة.

١. إن التجانس الطبيعي في عوامل البيئة المصرية القديمة المناخية من شمس وأمطار ورطوبة وحرارة كافية ، وتكوين الأرض التي ساعدت بشكل كبير على توفير مكان ملائم لنمو النباتات إذ أطلق عليها " إستى " أي ارض المنتجات الزراعية ، وكذلك " باتا إن كمت " أي " ارض السواد " نسبة إلى لون التربة ، نظرا لخصوبتها ، كما وصفت أيضا بـ" باكت " أي الأرض الساطعة نظرا لسطوع الشمس وأشعتها على الأرض المصرية ، هذه العوامل المختلفة ساهمت بشكل كبير على نشوء الزراعة.
٢. إن أهم عوامل قيام الزراعة توفر المياه ، وتمتاز مصر بنهر النيل وفيضانه المنتظم الذي حافظ على خصائص التربة لما يحمله معه كل سنة من عوالق وطمى وطين تجدد من خصوبتها ، كما يعد الفيضان بمثابة غسل للتربة من الأملاح التي تتشكل بها، وبهذا فقد أصبحت الأرض المصرية بفعل نهر النيل من أخصب الأراضي الزراعية .
٣. تعد الأدوات التي تم العثور عليه ولها علاقة مهمة في عملية الزراعة كالفأس البدائي الذي صنع من حجر الصوان وتكون مسننة عادة ويتصل بها مقبض خشبي ، إذ حلت هذه الفأس محل اليد في عملية حفر الأرض ، والأداة الثانية التي لها علاقة وثيقة بالزراعة وهي الرحى اليدوية المصنوعة من الحجر، إذ يعتمد على دورانها في طحن البذور ، يؤكد بشكل واضح على معرفة السكان للزراعة وان لم يمارسوها بصورة واسعة .
٤. إن التحريات والتنقيبات الأثرية التي أجرت في مناطق شمال بلاد الرافدين في مطلع الألف الثامن قبل الميلاد ، تمخضت عن وجود نوع من أنواع الحنطة الذي يعرف بـ (Emmer) المهجن التي تم العثور عليه في موقع جرمو، وتحمل سنابله أربعة صفوف من الحبوب وجدت منه بذور متفحمة في مواقع متعددة من مصر القديمة أيضا تعود للعصر الحجري الحديث .
٥. إن العثور على هذا النوع من القمح من نفس الفصيلة بإمكان متفرقة من مناطق الشرق الأدنى القديم يدل على معرفة الإنسان له ولربما كان هو النوع الأول الذي تم تدجينه وزراعته في مناطق متعددة

من الشرق الأدنى القديم ، كالعراق ، فلسطين ومصر ، وان دل هذا إنما يدل على تعاصر معرفة الزراعة في هذه المناطق أبان العصر الحجري الحديث كما أثبتت ذلك التحريات والتنقيبات الاثارية.

٦. إن العثور على بقايا من الحنطة والشعير المتفحمة ، إضافة إلى مخازن مصنوعة من سلال القش يخزن بها الفائض من الإنتاج الزراعي في مواقع القرى الزراعية في الفيوم ودير تاسا ومرمدة بني سلامة ، والتي رجحت البعثات التنقيبية التي أجريت في هذه المنطقة إنها تعود إلى حوالي٥٠٠٠ ق. م ، يؤكد لنا معرفة سكان هذه المواقع للزراعة ولو بشكلها البسيط ، والذي رجح هذا الرأي العثور على بعض البذور في قبور الموتى التي تعود لهذه المرحلة .

٧. ويمكننا الاستلال من خلال بقايا القمح التي عثر عليها ومخزونة الآن في المتحف الزراعة في القاهرة والتي تحتوي على كميات من القمح المتفحم من نوع Triticum Decoccum التي يتصف بأنه ثنائي الصفوف ويمتاز بكبر وعلى بقايا من الشعير المتفحم ، وتجدر الإشارة هنا إن هذا النوع يطلق عليه " بدت "، وقد أكدت الدراسات الحديثة معرفته بمناطق الشرق الأدنى القديم منذ ما يقارب ١٥٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠سنة قبل الميلاد وهو من النباتات البرية الذي انتشر بصورة واسعة في مناطق الشرق الأدنى القديم وشمال أفريقيا ، والعثور عليه في مصر يؤكد معرفة سكان بلاد النيل اليه وزراعته في مراحل تالية .

٨. يبدو إن سمات الفكر الديني ، بدت واضحة من خلال ما كشف عنه في مقابر الموتى بمواقع متعددة من مصر القديمة ، إذ كان المتوفى يوضع على الجهة اليمنى وتكون ساقيه مثنية إلى الصدر والوجه متجها نحو المساكن ، ووضعت مع المتوفى في القبور بعض الأثاث ، مما يدفع إلى الاعتقاد إنهم امنوا بوجود حياة ثانية، لأنهوا لاحظوا غروب الشمس فاتجهت أنظار الميت نحو الغرب لاعتقادهم إنها ستشرق في الحياة الأخرى ، لابد من الإشارة إلى التماثيل التي وجدت في قبور هذه المواقع التي عرفت بـ(الآلهة الأم) وتدل هذه التماثيل على الخصب الذي ارتبط بالزراعة .

الملاحــق

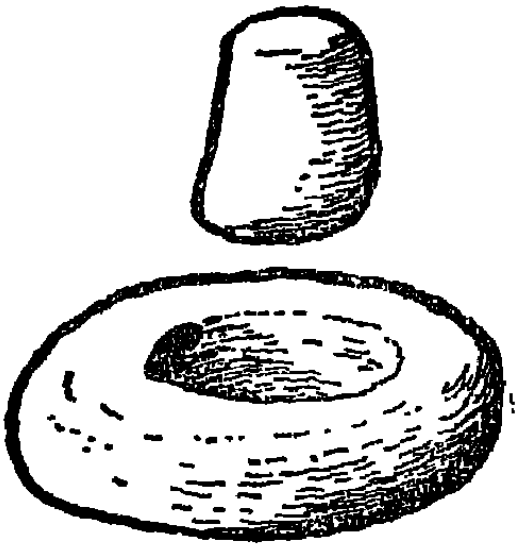

شكل رقم ١: رحى حجرية تعود للألف الرابع قبل الميلاد عثر عليها في مصر ..الصورة عن : هاولز ، المصدر السابق ، ص ١٨٦.

شكل رقم ٢ : حنطة نوع (Emmer) التي عثر عليها في مناطق متعددة من الشرق الأدنى القديم ..الصورة عن :

Zwinger,Steve F., **The Ancient Grains Einkorn, Emmer, Spelt, &Heritage Wheat** ,(Cornell University,2012),p.9.

قائمة الهوامش والمصادر .

(١) علي ، رمضان عبده ، **رؤى جديدة في تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية** ، المجلس الأعلى للآثار ، (القاهرة ، ٢٠٠٧) ، ج١، ص ص ٣٨٥ــ ٣٨٧.

(٢) فكري ، وائل ، **موجز موسوعة مصر القديمة** ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ٢٠٠٨) ، ج٢ ، ص ١٢٠٣ .

(٣) وضعت عدة آراء حول أصل المصريين ، فالرأي الأول يقول إن أصلهم يرجع إلى العنصر الحامي لربما جاءا من أفريقيا بسبب حالة الجفاف التي مرت بها هذه المنطقة وكان هذا رأيا راجحا لمدة طويلة ، كما رجح رأي آخر من إن أصلهم من أتباع الإله حورس وأنهم وفدوا إلى مصر من الجنوب والشرق ، وكانوا يمتلكون حضارة أصيلة تمكنوا من فرض نفوذهم على سكان البلاد وأخضعوها لهم ولربما كان أصلهم من شبه الجزيرة العربية قد عبروا البحر الحمر للوصول إلى مصر ، المقصود بهم الساميين بالإضافة إلى مجاميع دخلت من بلاد النوبة وأثيوبيا وليبيا ...للمزيد ينظر : علي ، رمضان عبده ، **حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية** ، المجلس الأعلى للآثار ، (القاهرة ، ٢٠٠٤) ، ج١ ، ص ص ٧٦ــ٨٠.؛ *Janick, Jules, **Ancient Egyptian Agriculture and the Origins of Horticulture**, Purdue University, Department of Horticulture and Landscape Architecture,(Indiana,2002) ,p.23.*

(٤) علي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢.

(٥) حازم ، حسين يوسف ، **" المدنية (ظهورها وتطورها) في منطقة الشرق الأدنى خلال عصور ما قبل التاريخ "** ، المؤتمر العلمي الأول لعلوم الآثار ، كلية الآثار جامعة الكوفة ، ٢٠١٧ ، ص ٦٩ .

(٦) علي ، رمضان عبده ، **رؤى جديدة في تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية** ، المجلس الأعلى للآثار ،(القاهرة ، ٢٠٠٦) ، ج٢، ص ص ١٥ــ١٦.

(٧) وولي ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(٨) حازم ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٩) جابر ، محمد مدحت ، **بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة** ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص ١٣ .

(١٠) **ينظر:** هاولز ، وليام ، **ما وراء التاريخ** ، مؤسسة فرانكلين للنشر ، (القاهرة ــ نيويورك ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٦.؛ احمد ، محمد علي ، **الزراعة...أيام الفراعنة** ، دار المعارف ، (القاهرة ، بلا) ، ص٢٢.

(١١) تعد واحة سيوه من المنخفضات الصحراوية الكبرى في المنطقة الغربية ، وهي تبعد عن القاهرة بمسافة ما يقارب ٨٢٠كم وتبعد عن الحدود المصرية الليبية ما يقارب من ٦٥ كم تقريبا ، ترتفع عن مستوى البحر المتوسط ما يقارب ١٧ـ٢٠م وتحيط بها تلال هضبية رملية ترتفع إلى ما يقارب ١٠٠م ، وكان لقمبيز الاخميني قصة كبيرة في هذه الواحة مع معبد الإله آمون الذي أراد هدم هذا المعبد فسلط عليه الإله آمون غضبه الذي تمثل بعاصفة رملية شديدة كانت قد غطت جيشه وجعلتهم تحت الرمال ...للمزيد ينظر: **علي ، رمضان عبده ، تاريخ مصر القديمة** ، دار نهضة الشرق ، (القاهرة ، بلا) ، ج٢ ، ص ٤٣٠ ؛ **الخضراوي ، ريهام كامل ، الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية**

السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني ـــ دراسة حالة واحة سيوه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الهندسة ، ٢٠١٢ ، ص ص ١٣٤ــ١٣٥.

(١٢) الاخناوي ، فوزي ، **مصر الفرعونية دراسة عن دور الدولة المركزية في التكوين الاقتصادي والاجتماعي المصري** ، دار الثقافة الجديدة ، (القاهرة ، ١٩٩٣) ، ص ٤٨ .

(١٣) جريمال ، نيقولا ، **تاريخ مصر القديمة** ، ترجمة: ماهر جويجاتي ، دار الفكر للنشر ، ط٢، (القاهرة ، ١٩٩٣) ،ص ص ٢٨ـ٢٩.

(١٤) يقع موقع جرمو في سهل جمجمال في منطقة كردستان العراق ويعرف الآن بـ " قلعة جرمو " وتقدر مساحته بما لايزيد عن ١٦الف متر مربع ويمثل أقدم قرية زراعية تعود للعصر الحجري الحديث في العرق ...للمزيد ينظر: **سليم ، احمد أمين** ، **العصور الحجرية في مصر والشرق الأدنى القديم** ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، ٢٠٠٠) ، ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(١٥) النجم ، حسين يوسف حازم ، **اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدنى فى العراق** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٠ ؛ *Braidwood,Robert J.,Howe,Bruge,**Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan**,(Chicago,1960),p.101.*

(١٦) الأحمد ، سامي سعيد ، وجمال رشيد ، **تاريخ الشرق القديم** ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ١٩.

(١٧) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر** ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، بلا) ، ص٦٠ .

(١٨)علي ، حضارة مصر...، ج١ ، ص ٣٩٥.؛ باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة حضارة وادي النيل** ، دار الوراق ، (بغداد ، ٢٠١١)، ج٢، ص ص٣٠ـ٣١.

(١٩) عوض ، خالد احمد حمزة ، **إدارة الشونة في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، ١٩٩٦ ، ص ١٥.

(٢٠) حسن ، مصر القديمة ، ج٢، ص ٧٨ .

(٢١) الأحمد ، وجمال رشيد ، المصدر السابق ، ص ١٩.

(٢٢) الزنكي ، المصدر السابق ، ص ٢٣.

(٢٣) علي ، حضارة مصر...، ج١ ، ص ص ٣٩٢ـ٣٩٣ .

(٢٤) **البوص** : احد أنواع النباتات ذات الألياف التي تنمو بالقرب من مستنقعات المياه ، وهو يشبه نبات البردي ، لكن اصلب قليلا ، ولهذا صنعت منه الصناديق وبعض القوارب التي كانت تستعمل في الاحتفالات ، وفي بعض الأحيان استعمل لعمل السلال ، أما النوع الاصلب قليلا فقد استعمل في صناعة السهام وهذه السهام كانت قد استعملت في الدولة القديمة ...للمزيد ينظر: لوكاس ، الفريد ، **المواد والصناعات عند قدماء المصريين** ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩١)،ص٢٢٧ .

(٢٥) صالح ، عبد العزيز ، **تاريخ الشرق الأدنى القديم ــ مصر والعراق** ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة، ٢٠١٢) ، ص ص ٦٤ـ٦٥.

(٢٦) عصفور ، المصدر السابق ، ص٦١ .

(٢٧) فخري ، احمد ، **مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢قبل الميلاد** ، مكتبة الأسرة ، (القاهرة ، ٢٠١٢) ، ص ٣٢ .

(٢٨) الأحمد وجمال رشيد، المصدر السابق ، ص٢٠ .

(٢٩) عصفور ، المصدر السابق، ص٦٢ .

(٣٠) سلمان ، قتيبة أحمد ،**عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة واسط ، كلية التربية ، ٢٠١٠، ص ٤٥.

(٣١) علي ، حضارة مصر...، ج١ ، ص٣٩٣.

(32) *Braidwood&,Bruge,op …cit,pp.136-146 .*

(٣٣) علي ، حضارة مصر...، ج١ ، ص٣٩٤.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٩٥.

(٣٥) عصفور ، المصدر السابق، ص٦٢ .

(36) *Brunton,Guy , **The Badarian Civilization and Preynastic remains near Badari,** (London ,1928), p.63؛p.85 .*

(٣٧) الدباغ ، تقي ، ووليد الجادر، **عصور ما قبل التاريخ** ، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص ٦٣ .

(٣٨) الدباغ ، ووليد الجادر ، المصدر السابق ، ص ١٦٩.

(٣٩)عصفور ، المصدر السابق، ص٦٩ .

(٤٠)علي ، حضارة مصر...، ج١ ، ص٣٩٦ .

(٤١) الدباغ ، ووليد الجادر ، المصدر السابق ، ص ١٧٠.

(٤٢) عصفور ، المصدر السابق، ص ص ٨٠ ــ ٨١.

(٤٣) حمدان ، المصدر السابق ، ج٣، ص ٣٩٤.

(٤٤) دليل المتحف الزراعي ، وزارة الزراعة ، قسم الزراعة المصرية القديمة ، ص ص ٢٢ـ٢٥.؛ وعن الخبز في مصر القديمة ينظر: نور الدين ، عبد الحليم ، **الخبز في مصر القديمة** ، ص ص ٨. ــ١٩.

(٤٥) حسن ، سليم ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٧٩.

(٤٦) إدريس ، سمية عبد الرحيم ، **التأثيرات المناخية على زراعة القمح في السودان** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧.

(٤٧) الحسيني ، المصدر السابق ، ص ١٩.

(٤٨) سيف الدين ، إبراهيم نمير ، وآخرون ، **مصر في العصور القديمة** ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ،١٥٣ .

(٤٩) السقا ، محمود ، **فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية دراسة في علم تطور القانون** ، (القاهرة ، ٢٠٠٩) ، ص ٣٧.

(٥٠) السعدي ، المصدر السابق ، ص ٣٣.